ISSN: 2750-6142

المجلد 3، العدد 9، 2024
Vol: 3 / N°: 9 (2024)

المجلة العربية لعلم الترجمة
Arabic Journal for Translation Studies
OPEN ACCESS

A Definitional Approach to Apuleius's Novel The Golden Ass

Jaouad Zarrouki
Sidi Mohamed Ben Abdellah University, Fez, Morocco
Email : jouad2010@gmail.com
Orcid : 0009-0007-0182-0990

Received	Accepted	Published
21/9/2024	31/10/2024	31/10/2024

: 10.5281/zenodo.14031555

Cite this article as : Zarrouki, J. (2024). A Definitional Approach to Apuleius's Novel The Golden Ass. *Arabic Journal for Translation Studies, 3*(9), 374-384.

Abstract

This article comes to shed light on an important area within the global narrative repertoire, which is the novel "The Golden Ass". The problem of this study was to define this novel, and to reveal the importance of this study in that the Amazigh culture throughout the ages has interacted positively with various human civilizations, in terms of influence and impact, and its history is full of important names of writers, philosophers and religious scholars, who excelled in different fields of knowledge, and expressed themselves in different languages.

Perhaps the most prominent of these names is the creative Amazigh Lucius Apuleius, author of the novel "The Golden Ass". This article (the problem) came to define this novel, and to shed light on the extent of the interest it has received in ancient and modern times. To achieve this, I employed a descriptive and analytical approach. The research plan included an introduction and sections that discussed the most prominent events of the novel, basic narrative lines, and elements of artistic construction in it and their impact on the subsequent narration, and a conclusion that included the results reached by the study.

Keywords: World Literature, Novel, Amazigh Literature, Ancient Narrative

© 2024, Zarrouki, licensee Democratic Arab Center. This article is published under the terms of the Creative Commons Attribution-NonCommercial 4.0 International (CC BY-NC4.0), which permits non-commercial use of the material, appropriate credit, and indication if changes in the material were made. You can copy and redistribute the material in any medium or format as well as remix, transform, and build upon the material, provided the original work is properly cited.

المجلة العربية لعلم الترجمة
Arabic Journal for Translation Studies
OPEN ACCESS
المجلد 3، العدد 9، 2024
Vol: 3 / N°: 9 (2024)
ISSN: 2750-6142

مقاربة تعريفية لرواية الحمار الذهبي لأبوليوس

جواد الزروقي
جامعة سيدي محمد بن عبد الله، فاس، المغرب
الايميل: jouad2010@gmail.com
أوركيد: 0009-0007-0182-0990

تاريخ الاستلام	تاريخ القبول	تاريخ النشر
2024/9/21	2024/10/31	2024/10/31

doi: 10.5281/zenodo.14031555

للاقتباس: الزروقي، جواد. (2024). مقاربة تعريفية لرواية الحمار الذهبي لأبوليوس. *المجلة العربية لعلم الترجمة*، *3*(9)، 374-384.

ملخص

يأتي هذا المقال لإلقاء الضوء على منطقة مهمة ضمن الريبيرتوار السردي العالمي، يتعلق الأمر رواية "الحمار الذهبي". وقد تمثلت مشكلة هذه الدراسة في التعريف بهذه الرواية، وتأتي أهمية هذه الدراسة في كون الثقافة الأمازيغية عبر العصور متفاعلة بشكل إيجابي مع مختلف الحضارات الانسانية تأثرا وتأثيرا، ويحفل تاريخها بأسماء وازنة لأدباء وفلاسفة وعلماء دين، ممن نبغوا في حقول معرفية مختلفة، وعبروا بلغات مختلفة.

ولعل من أبرز تلك الأسماء المبدع الأمازيغي لوكيوس أبوليوس (أفولاي)، صاحب رواية "الحمار الذهبي". وقد جاء هذا المقال (الإشكالية)، للتعريف بهذه الرواية، ولتسليط الضوء على حجم الاهتمام الذي حظيت به قديما وحديثا.. ولتحقيق ذلك وظفت منهجا وصفيا تحليليا وقد شملت خطة البحث مقدمة ومباحث تحدثت عن أبرز أحداث الرواية وخطوطا حكائية أساسية وعناصر البناء الفني فيها وتأثيرها في السرد اللاحق، وخاتمة ضمت النتائج التي توصلت إليها الدراسة.

الكلمات المفتاحية: أدب عالمي، رواية، أدب أمازيغي، سرد قديم

©2024، الزروقي، الجهة المرخص لها: المركز الديمقراطي العربي.
نُشرت هذه المقالة البحثية وفقًا لشروط Creative Commons Attribution-NonCommercial 4.0 International (CC BY-NC 4.0).
تسمح هذه الرخصة بالاستخدام غير التجاري، وينبغي نسبة العمل إلى صاحبه، مع بيان أي تعديلات عليه. كما تتيح حرية نسخ، وتوزيع، ونقل العمل بأي شكل من الأشكال، أو بأية وسيلة، ومزجه وتحويله والبناء عليه، طالما يُنسب العمل الأصلي إلى المؤلف.

تقديم

لعل من أبرز إسهامات الأمازيغ في مجال الأدب تأتي رواية "الحمار الذهبي"، التي تعتبر أول رواية وصلتنا كاملة، والتي كتبها لوكيوس أبوليوس (أفولاي) في القرن الثاني الميلادي، وتضم أحد عشر فصلا، وأطلقت عليها تسميات عديدة من بينها: المسوخ، والتحولات، كما عند عمار الجلاصي، أو تحولات الجحش الذهبي، كما عند فهمي خشيم، وقصة المسخ، عند حميد لحمداني، أو الحمار الذهبي، عند أبو العيد دودو، ويمكن تسميتها رواية "الحمار الوردي" لأن كلمة الورد تكررت مرارا في المتن الروائي (حمداوي، جميل:20،2009).

وهذا التردد الحاصل في تسمية الرواية يُترجم من البداية الأبعاد الغامضة، في نص مختلط، لم ينته بعد من إثارة المزيد من الأسئلة(Casanova-Robin Helene:2003,2).وقام العديد من الكتاب بترجمتها عن اللاتينية كعمار جلاصي وأبو العيد دودو، وترجمها عن الانجليزية فهمي خشيم: (حمداوي، جميل:2،2007). وترجمت إلى الأمازيغية على يد الباحثَين محمد أگوناض، ومحمد أوسوس..

وكاتب الرواية كما قلنا هو لوكيوس أبوليوس، وهو من أبناء شمال افريقيا الذين برزوا في ميدان الأدب اللاتيني على زمن الامبراطورية الرومانية، ولد عام 125م، وتوفي عام 180م. واتسمت كتاباته بالتنوع، فشملت الفلسفة والتاريخ والموسيقى والشعر والنحو والحساب وعلم الفلك وعلم وظائف الأعضاء والعلوم الطبيعية والفلاحة وعلم الأسماك وغير ذلك..

ولم يصلنا من خطبه ورسائله وأشعاره وكتاباته الفنية والعلمية الكثيرة إلا القليل نسبيا. ومن ضمن كتاباته: "رواية "الحمار الذهبي" التي شكلت نوعا أدبيا جديدا يعرف اليوم بالرواية الإطارية التي تضم مجموعة من القصص من جهة. وبالرواية "الأنوية" التي يرويها المؤلف نفسه بضمير المتكلم من جهة أخرى.

وليست الرواية مبتكرة الكامل، بل قامت على أصل يوناني مفقود، ولكنها أبعد ما تكون عن اعتبارها ترجمة للأصل اليوناني الذي بقي مجرد إطار أضاف إليه المؤلف الكثير من الحكايات، وحملها أقصى ما يمكن أن تحمله من آرائه عن شتى أوجه الحياة. وقد بين أفولاي في هذا النص عن قدرته الخارقة في طريقة الحكي، وعن مجال معرفي شامل في كافة مستويات المعرفة، وعن طاقة جبارة في التخييل وتوليد الصور، وعن إمكانية غير مسبوقة في نقد المجتمع اليوناني .الروماني، من خلال عمل أدبي، هو الرواية، وعن خبرة متميزة بذلك المجتمع طبقات وفئات على امتداد الهرم الاجتماعي (أقوضاض، محمد :2008، 29)

ومهما يكن من اختلاف بين الباحثين حول اللغة التي كتبت بها الرواية إلا أن النفَس الأمازيغي حاضر فيها، إذ أسس أفولاي من خلالها طريقة في الكتابة ذات صبغة افريقية حقيقية(Boidin Carole:81،2012). على غرار ما نجده في كتابات كل الأدباء الأمازيغ بلغات غير لغتهم الأم، كخير الدين بالفرنسية، ومحمد شكري في الخبز الحافي، وادريس الملياني في ديوان "تانيرت ألواح أمازيغية"، وحسن أوريد في "الأجمة" و"سيرة حمار"...

هذا مع ضرورة استحضار اعتراف أفولاي بثقافته الإفريقية وهويته الأمازيغية، إذ كان يقول :"لم يمتلكني في يوم من الأيام أي نوع من الشعور بالخجل من هويتي ومن وطني(حنداين، محمد:1991، 47)، ومن المصدر نفسه ننقل عن أفولاي قوله: "أنا نصف كدالي ونصف نوميدي."

وفي هذا المقال سأضع تقديما لرواية الحمار الذهبي، أعرض فيه أبرز أحداثها، وما عبرت عنه من أبعاد فكرية وفلسفية، مع الإشارة إلى بعض سماتها الأسلوبية، ورصد صداها في محفل التلقي.

أبرز أحداث الرواية

قام لوكيوس بطل الرواية برحلة إلى "ثيساليا" باليونان، وفي أثناء الطريق التقى برجلين رافقهما في ذلك السفر. وكان مما حكاه أحد الرفيقين قصة تدور حول السحر، لم تنل تصديق بطل الرواية، لكنها أثارت فضوله. ولما وصل لوكيوس إلى "ثيساليا"، نزل ضيفا عند ميلو البخيل، وكانت زوجته تمارس السحر، وتتحول إلى أشكال مختلفة، إذا دهنت نفسها بأنواع من الزيوت الخاصة بالمسخ والتحويل.

وبعد جهد تمكن لوكيوس من إقناع الخادمة فوتيس بأن تعطيه بعض المرهم الذي تستعمله الساحرة لكي يتحول إلى نسر، لكن الخادمة أخطأت في التقدير، فقدمت له محلولا غير مناسب، فتحول إلى حمار بدلا من أن يصير نسرا، ولكن عقله بقي عقل إنسان مفكر.وعلاج التحول سهل، وهو أن يقضم الورد ليعود إلى هيأته الأولى، لكن فوتيس لم تجد الورد في تلك الليلة، ومن سوء حظه أن بعض اللصوص سيداهمون البيت في تلك الليلة، وسيأخذون المال والمتاع، وسيقتادون الحمار معهم، لتبدأ متاعبه، حيث سيناله قسط وافر من أصناف العذاب والقسوة على يد الكثير من بني البشر.

وفي أثناء انتقاله من يد بشرية إلى أخرى، كان البطل في كل مرة يكتشف خفايا جديدة عن حوادث البشر وتجاربهم، ويعرض قصصا عايشها معهم كشاهد عيان فيها، وقد خبر مكائد البشر وحيلهم. وظل على هذه الحالة إلى أن خلصته الإلهة "إزيس"، بعدما صادف دعاؤه مرور موكب الآلهة بجانبه، فأسرع إليه وأكل من الورود التي يحملونها، فعاد إلى هيأته، وقص حكايته للراهب والحاضرين. ومن يومها كرس حياته لعبادة "إيزيس" حتى أفضت له بسرها، فأصبح راهبا في معبدها. وهذه الكيفية التي انتهت بها الحكاية تثير إحساسا بأن الرواية ككل ذات طبيعة كوميدية(Hiroshi Notsu:2014,181).

وفي الرواية إنزياحات تنحرف عن الحكاية الرئيسية لتحكي قصصا قصيرة أخرى، كقصة خادم مسنة في مغارة القراصنة، وعن فتاة تحب الجن، وعن الإلهة "إيزيس"، وقصة الفاتنة، وحب الإله "كوبيدون" لها ثم هيامها به.

تيمات مهيمنة في الرواية

تضمنت رواية "الحمار الذهبي" خطوطا حكائية أساسية أبرزها:

- **النقد الساخر للمجتمع**

تمثل رواية "الحمار الذهبي" قراءة نقدية للمجتمع الروماني على مختلف الصعد، وهذا ما يفسر اختيار الكاتب فكرة التحول إلى حمار، فهي ذات أبعاد فنية وبنائية، ساهمت، من خلال تنقلات الحمار من يد إلى أخرى، في توفير أداة يتعرف من خلالها على خبايا المجتمع، ويكشف بواسطتها عن أمراضه، وقد تجلت في التفاوت الطبقي، وانتشار الجريمة والفساد والسرقة، والممارسات الجنسية الخليعة، التي تُظهر عالما يمور بالغرائز والرغبة والمتع الحسية..

إن المتتبع لأحداث الرواية ومغزاها يرى أنها رواية أخلاقية بامتياز، يحاول الكاتب من خلالها أن يسرد بعض المفاسد التي كانت شائعة في المجتمع الروماني خلال القرن الثاني الميلادي، وأثر هذه المفاسد على أمن المجتمع، وتماسك بنياته. وكانت وسيلة الكاتب للتنفير من هذه القيم أو الممارسات السيئة، والربط بين كل سلوك لا أخلاقي: كالكذب والظلم والنفاق والخيانة الزوجية والسرقة وغيرها، والعقاب الذي يستحقه، أخذا بمبدأ العقاب من جنس العمل (خشيم، علي:2000، 71).

ونمثل لذلك بظاهرة الرق، إذ يعطي لها الكاتب دلالات رمزية، ويكشف عن الجوانب المظلمة لتلك الظاهرة من خلال تحوله إلى حمار يخدم الخدم وعبد الخدم، حيث يصبح هدفا لكل أنواع القهر والعنف، وعرضة لكل الخاطر والمخاوف (Annequin Jacques:232،2004) .

- **أسطرة الحكي**

تمثل أسطورة المسخ والتحول أهم الخطوط البنائية التي حفلت بها الرواية، (Casanova-Robin Hélène :83،2003)، والتي استمدها الكاتب من الثقافات القديمة التي عايشها، بما تمثله من دلالة على أنماط التصورات التي ميزت طريقة التفكير في الميثولوجيات السائدة في عصره . وقد حاول أفولاي نقلها إلى الأدب من خلال الرواية، وذلك من خلال ممارسة نوع من الإسقاطات التي تمس جوانب هامة من حياة المجتمع التي انتقدها في إبداعه. فقد مثلت أسطورة المسخ والتحول من كائن بشري إلى حمار، أداة فنية نسج عبرها الكاتب الكثير من القصص التي عاينها في محاولاته التخلص من ورطته، والعودة إلى هيأته الأصلية، وذلك في قالب تراجيدي أخّاذ.وقد حاول لوكيوس من خلال استفادته من تحوله إلى حمار للنفاذ إلى أسرار الطبيعة، والتحقق من جوهر الحياة، وما يكتنفها من تجرد من الأخلاق في كل ما حول البطل من أشياء(Garbugino 213 G:2009;.

ويكتسي موضوع التحولات ومسخ الكائنات بطبيعته أبعادا وإيحاءات خاصة، ويناقشه الدارسون باعتباره موتيفا أدبيا يشير إلى الانفصال بين الجسد والوعي، أو بين الشكل والجوهر، وذلك عندما يحدث الانقلاب من خلقة إلى أخرى.. فالمسخ والتحول يختلف في دراسته بين مجموعة من العلوم مثل الأنثروبولوجيا والفلسفة وعلم الجمال ودراسة الأديان، أما التحول في الأدب فله علاقة بالبحث عن الهوية، فالانفصال والخروج إلى الآخر ليتعرف الانسان على هويته الأصلية من جديد (أبوبكر، أميمة: 1994، 240). وهذا ما نجده في رواية "الحمار الذهبي" في مسخ الانسان إلى حيوان، ثم عودته إلى حالته الأولى، وهي تعتمد على طابع المسخ وتحويل الكائن البشري إلى حيوانات أو أشياء على غرار الابداعات اليونانية.

الغرائبي/الفانطاسم في الرواية

تحكي الرواية مغامرات وحكايات غرائبية، يمثل السحر أبرز ملامحها، وقد ألّف أفولاي كتابا عنوانه "في السحر"، فكان تعلقه بالسحر، وشغفه بالوقوف على أسراره، دافعا قويا لأن تطغى الحكايات العجائبية والسحرية على معظم فصول الرواية. وقد مثل الفنطاستيكي الذي وقع للكاتب معادلا فنيا، حوّله إلى معنى رمزي، يجسد انحطاط الانسان، ونزوله إلى مرتبة الحيوان، حينما يستسلم لغرائزه وأهوائه الشبقية وانفعالاته الضالة.

وعموما فالرواية عبارة عن مجموعة من القصص الفكاهية، كتبت بأسلوب مشوّق، وبغرائبية، تمثل محاكاة ساخرة للواقع، يمكن تصنيفها ضمن رواية المغامرات أو المخاطرات التي تجمع بين السخرية والاستعراضية، والفكاهية والهزلية الماجنة والنكت والهجاء اللاذع، وتصوير مشاهد مليئة بالقسوة والجريمة والجنس المقنع. كل ذلك بأسلوب شاعري مليء بالمتعة، خاطب أبوليوس القارئ في تقديمه

للرواية قائلا: انتبه ستنال حظك من التسلية! جامعا بين ثنائيات متصارعة من حب وبغض، وتضحية وخيانة، ووفاء وغدر، وفضيلة ورذيلة، ودراما وكوميديا...

كما جمع الكاتب بين شخصيات متناقضة أيضا شملت الغني والفقير، والفلاح والعسكري، والتاجر والقرصان، والغانية والمتعففة.. كل هذا لا شك يدرج النص ضمن الخطاب الخارق واللامعقول والمثير للسخرية، والمؤسس على السخرية، ولكنه خطاب وضع في الأساس لإثبات العكس، وتأكيد الخلفية الخارقة لوجودنا الانساني الغامض، أي الغرابة التي يزدهر بها الواقع. حيث أورد قصصا مليئة بالمفارقات المثيرة للغرابة والسخرية والهزل والاغراء والتشويق، كقصص أولئك الذين تعاقبوا على ملكية الحمار، ومن ذلك صور الشذوذ الجنسي مع الحيوان، إذ يدفع الحمار إلى ممارسة الجنس مع المرأة، وفي وسط حشود من الناس، جاؤوا لمشاهدة حمار ذاع صيته بأنه ذكي وهو يمارس الجنس مع مومس في مسرح يتم تجهيزه بكل وسائل الراحة. وتبلغ غرابة الحكي ذروتها هنا حينما يعبر الحمار عن اشمئزازه من هذا السلوك، ويهرب بعيدا، بشكل تطبعه الطرافة.

هذا البعد الغرائبي في الرواية يدفعنا للإشارة إلى طبيعة المرحلة التي كتبها فيها أفولاي، إذ من المرجح أن يكون كتبها في سن مبكر، لأنها السن المناسبة، لما فيها من مغامرات تقتضي تسلحه بقوة جسمانية، يقدر من خلالها على تحمل أهوال السفر ومشاقه واقتحام أهوال وتحديات لا حدود لها. وقد أشار الأستاذ فهمي خشيم إلى أن أبوليوس كان شابا عندما كتب الرواية. وهذا ما يفسر حضور "الفضول"la curiosité كموضوعة محورية في الرواية (C. Schlam:69-1968، 120-125)، إضافة إلى تيمتي اللذة "la voluptas" والحظ "la fortuna" وذلك بحسب الباحثة (Servonnet-Emma : 2014، 1)، حيث تعكس مغامرات لكيوس، وتحدد بوضوح تأرجحه بين الرغبة والمحظورات التي تواضع عليها المجتمع، ومحاولته تغطيتها بأبعاد سحرية وسرية.

اتجاه فلسفي مثالي في الرواية

في مستهل الرواية ينبه أفولاي القارئ بكون الأشياء ليست سهلة، فهذه الرواية الاغريقية المكتوبة باللاتينية، بقدر ما هي مضحكة، فهي تثير التأمل، وتدفع إلى معايشة مغامرات غير مألوفة، كما تنبه المتلقي إلى ضرورة اعتماد قراءة متيقظة، إذ عليه أن يبحث عن الوهم داخل ما قد يبدو حقيقيا وبديهيا، وأن يميز الحقيقي داخل ما قد يبدو أكثر غرائبية (Annequin Jacques:1996;168).

وفي هذا السياق يأتي تنبيه(Ute Heidmann:2014 ; 3-4) من خلال المقارنة التي وضعها بين الأجناس السردية القديمة، والتي في مقدمتها الحمار الذهبي، والسرد الحديث، ويقرر بأنهما يشتركان في خصائص كثيرة، واستخلص أن المحكي القديم يتميز بالدور الذي يلعبه في تثقيف القراء لأنه يتضمن قيما بدواخله"Morale cachée".

وتحتوي رواية "الحمار الذهبي "أبعادا فلسفية يمكن اكتشاف ذلك من الوهلة الأولى، ونمثل لذلك بعدد الكتب التي تضمنتها، إذ شملت أحد عشر، وهو عدد تميزت به في تاريخ الروايات الأدبية اللاتينية، حيث يفسر (Heller: 1938,332) العدد11ب:(1+10) كتعبير رمزي عن بعث وولادة جديدة للبطل لوكيوس. وما يرجح هذا التفسير في اعتقادنا هو محتوى الرواية العقدي والفلسفي، إذ تتضمن في مجملها أفكارا مستمدة من فلسفة أفلاطون (Servonnet-Emma:2014، 26). حيث اعتنق أفولاي مبادئ الأفلاطونية الجديدة، والتي أبدى إيمانا راسخا بها. (J.P. Cèbe :1986 ;v6). ويظهر ذلك نظرته إلى طبيعة النفس ومفهومه الصوفي للخلاص من جهة ثانية، ولطبيعة النظام الاجتماعي القائم.

واهتمام كثير من الباحثين برواية "الحمار الذهبي" كعمل أدبي يتضمن السرد المفعم بالبلاغة والرموز والصور الفنية الابداعية، والخيال الجامح، والكلمة الموحية، لا ينفي توفرها على مضمون فلسفي أراد الكاتب التعبير عنه تحت تأثير قناعاته

الفكرية المستمدة من الفلسفة الأفلاطونية، والتي تَظهر من خلال مؤشرات عديدة في المتن الحكائي منها تمجيد إحدى الشخصيات في الرواية لسقراط والعائلة الأفلاطونية (أبو العيد، دودو:2004، 41). ومن خلال وجود مسحة من روح الفلسفة اليونانية، وبالتحديد فلسفة أفلاطون ونظريته في النفس ومفهومه للفضيلة، وموقفه من الجسد، وبحثه في طبيعة الشر، وهي فلسفة قادت أبوليوس إلى معرفة المعبود الحقيقي والمخلص النهائي من المعاناة وتحقيق الخلود في عالم السعادة الأبدية (هالي، نور الدين:2016، 164).

وفي السياق ذاته، يضيف الباحث نور الدين هالي بأنه يمكن أن نذكر بعض الرموز ودلالاتها الواردة في رواية "الحمار الذهبي"، فمن الأسماء، استعمل أبوليوس اسم سقراط واسم أرسطو للدلالة على التوجه الفلسفي السائد في عصره، وترمز الخادمة إلى المادة واللذة الجنسية، أما الساحرة بامفيلا فتُعبر عن قوى الشر، والحمار يرمز إلى نظرية التقمص التي تطهر الجسد من الآثام، وعبرت أسطورة الحب والنفس، في عمومها، عن خلود النفس. والرحلة تدل على الحياة البشرية المليئة بالمعاناة وبحثاها عن الخلاص، أما الشاطئ فهو بر الأمان، والبحر يدل على العلم الإلهي، والمنامة ترمز إلى النبوة، وتجلي إيزيس هي الخلاص..

وفي السياق ذاته يذكر أن تمثالا تم تنصيبه، تخليدا لذكرى أفولاي، في مادورو Madaure، المدينة التي كان بها مسقط رأسه، وقد كتب على ذلك التمثال: "الفيلسوف الأفلاطوني". وقد تضمن هذا النص السردي العديد من مبادئ الفلسفة الأفلاطونية (Heller,Steven:1983,322).

عناصر البناء الفني في الرواية

تشمل رواية "الحمار الذهبي" جل العناصر الفنية التي تشكل بناء الرواية بمفهومها الحديث كالسرد وبناء الشخصيات والزمن والمكان وطريقة توظيفها ودورها في تماسك البناء القصصي، وتلاحم أجزائه، والإيهام بواقعيته، خصوصا وأنها مغرقة في الخيال بمضامينها. وقد وفّق الكاتب في كبح جنوحه إلى الخيال، بالارتكاز على تفصيلات مكانية وأفعال تدفع الوهم عن الرواية، وتقربها من الواقع. وتوظيف الأحداث الخيالية، جاء كوسيلة فنية للتعبير عن رؤية الكاتب وموقفه في القضايا التي يعج بها الواقع.

وتعتمد الرواية في شكلها الخارجي على أسلوب التقطيع في سرد الأحداث، إذ جاءت مقسمة إلى عدة فصول، كل فصل يحمل عنوانا مستقلا ودالا على الأحداث التي تجري فيه، دون أن يعني ذلك انفصام العلاقة التكوينية بينها. وتتابع فصول الرواية زمنيا بشكل منطقي، ولا يفصل بينها سوى بعض الحكايات الفرعية التي تضمنها الكاتب لأغراض فنية وبنائية، وبشكل متناغم مع متغيرات الفضاء والأحداث والشخصيات.

كما وظف أفولاي تنويعا في تقنية الراوي، حيث نجد الأنا المشترك والأنا الشاهد والأنا غير الحاضر، والسرد على لسان أحد الشخوص، والسرد بضمير الغائب كلي العلم. ويغلب السرد المحكي بضمير المتكلم، إذ يؤطر حكايات كثيرة بحسب Hiroshi) (NOTSU:1999، وفي مقدمتها قصة تحول البطل لوكيوس إلى حمار ثم رجوعه في النهاية إلى حالته الطبيعية (113-93، Montilio 2007).

وقد اعتبر Hicter توظيف أفولاي لضمير المتكلم يشي بمدى انشغاله بشخصه، على غرار صنيعه في بقية كتبه، وبشكل يؤكد أن أفولاي قد ترك لوكيوس يسرد سيرته الذاتية (Hicter M:1944، 111-95).

وفي نفس السياق روني مارتان بأنه يجدر ب"التحولات" أن يُقرأ العنوان بدلالة "الإعترافات" Les confessions باعتباره عملا يمثل سيرة ذاتية تحمل ميزة الاعترافات الدينية (Martin René:93،2007 - 113).

ونوّع الكاتب في تقنيات السرد، حيث استعمل الوصف والاسترجاع والتضمين والمونولوج والحوار الخارجي. ويمثل لوسيوس شخصية البطل في الرواية، وهي التي تكشف بقية الشخصيات بنفسها وتخبر عنها وهي شخصيات مختلفة ومتباعدة تنتمي إلى فئات مجتمعية متناقضة، تشترك بين الآدميين والآلهة والحيوانات الأليفة والمتوحشة، الواقعية والأسطورية...

هذا إلى جانب لغتها الأدبية الرفيعة والممتعة، تقوم على شاعرية مفعمة بالصور. ثم إن سحرية المناخ الحكائي، في الحمار الذهبي، ينتج أيضا عن سحر اللغة ذات الاشتغال البلاغي المتعدد، المراوغ والرصين، التهكمي والجاد، الرمزي والمنطقي. يقول هاريسون(S. J. HARRISON:2013 ,129) : هناك إجماع واضح أن رواية أبوليوس استثنائية بسبب لغتها ونسيجها الأدبي وتقنية السرد (...) ولغتها تتميز بوجود سجلات لغوية مختلفة فمنها اللغة الشعرية، وخاصة لغة الملحمة لإثراء السرد، ووصف العواطف، مع وجود لغة حية وعامية للترفيه.

تأثير الرواية في السرد اللاحق

لم تنته شهرة أبوليوس وأمجاده بموته، فقد أقبل الناس على قراءة مؤلفاته بجد ونشاط، وخصوصا رواية الحمار الذهبي، التي تعتبر بمثابة الرواية الوحيدة التي حافظت على مكانتها إلى اليوم مقارنة بالروايات "اليونانية"، كما تعد أول الروايات التي استلهم منها الكتّاب اللاحقون رواياتهم عن الرحلات . واستمدت منها فكرة المسخ، وبالتقنية الفانطاستيكية التي تستند إلى العجائبية والأحداث الغريبة وتداخل الأزمنة كما نجد قصة "الجسد" لروبير شيكلي . ومن الذين استفادوا من فكرة المسخ نجد جيمس جويس وگوي دو موباسان وألفونس دوديه..

واختار صاحب العرس "لكوديسالبينوس" رواية التحولات لتكون من أفضل قراءاته، ويمكننا تتبع تأثيرات أسلوب أبوليوس عبر عدة عصور. وقد اعتبرت كتاباته بالنسبة إلى النحاة بمثابة كنز، يعثرون فيها على الأشكال النادرة، والألفاظ التي تتطلب الشرح والإيضاح. وكانت شهرته من الاتساع، بحيث اعتبر اسمه لافتة نموذجية لبيع النتاجات الأدبية في الأسواق. (أبو العيد، دودو:2004،22). وأعجب به القديس أوغسطين، وتحدث عن التحولات تحت اسم "الحمار الذهبي"، وكان يدعو إلى وضع أبوليوس مع المسيح في منزلة واحدة(حنفاوي، بعلي:2018،71).

ونالت رواية الحمار الذهبي اهتماما كبيرا، وعناية الكثير من الأدباء والكتاب ابتداء من عصر النهضة، حيث ابتدأ طبعها منذ النصف الثاني من القرن الخامس عشر، وكان تأثيرها قد امتد قبل ذلك إلى أكثر من قرن. ولقد أثرت في روايات المغامرات كما نجد عند سرفانتس في روايته "دون كيخوته"، وغريمس هاوزن في روايته "سيبليسموس المغامر"، وآلان رينيه لوساج في قصته "خيل بلاص السنتياني"، ولويس كوبيروس في روايته الحمار العاشق وغيرها من الروايات الحديثة(أبو العيد، دودو:2004، 22).ونيكوسكاز انتزاكيس في رواية "المسيح يصلب من جديد". و"خواطر حمار" لألكونتس دي سيجير، و"أنا وحماري" لخوان رامون خيمينيث..

وفي الأدب العربي نجد مقاطع لها في رواية "النهر الذي يعض على ذيله" لإسماعيل غزالي(2015). و"حمار الحكيم" لتوفيق الحكيم، و"الحوت والقصر" للطاهر وطار، و"التجليات" لجمال الغيطاني، و"حمائم الشفق" لخلاصي الجيلاني، ورواية "الجازية والدراويش" لعبد الحميد بن دهوقة..

ومن الروائيين المغاربة الذين تأثروا كذلك بالحمار الذهبي نذكر: محمد الهرادي في روايته "أحلام بقرة"، وبنسالم حميش في روايتيه "سماسرة السراب"، و"محن الفتى زين شامة"، ومحمد عز الدين التازي في روايتيه "المباءة"، و"رحيل البحر"، والميلودي شغموم في "عين الفرس"، و"سيرة حمار" لحسن أوريد(2014).

وفي السياق ذاته جاءت فكرة التقمصات، في الرواية، بمثابة وسيلة وظفها الكاتب عبر انتقاله من طبيعته البشرية إلى أخرى حيوانية، لإدراك تفاصيل دفينة عن المجتمع والحياة والأشياء. وكان تأثيرها في الأدب الشفهي لا يقل عن المكتوب، إذ نجد تيمة المسخ والخوارق العجيبة والسحر، كمحاور أساسية في إنتاجات حكائية غزيرة على امتداد شمال افريقيا، ولا يزال صداها يمتد إلى اليوم في حكايات أسطورية كبقرة اليتامى (تافوناست ئووجيلن)، وساندريلا ومرغيغضا، وعيشة قنديشة، ولونجة وطرنجة ..(بلوصيف، كمال:2016، 290)

ولم يقتصر تأثير الرواية في الأدب الشعبي بشمال أفريقيا، بل إن أثرها يبدو واضحا في الأدب الأوربي كذلك، وقد أورد الباحث محمد أقوضاض نماذج لذلك التأثير في كتابه شعرية السرد الأمازيغي (أقوضاض، محمد:2008، 57). وكل ذلك يؤكد عالمية هذه الرواية، باعتبارها نموذجا للأدب الذي كتبه أمازيغ، وإن بلغة غير لغتهم الأم، وأثروا به الثقافة الإنسانية، وهو الأمر الذي يدعو إلى ضرورة إعادة الاعتبار لمساهمات الأمازيغ في ميادين العلوم المختلفة، واسترجاع ما ضاع منها، ثم إلحاقه بأصوله الأولى.

وعموما لقد ظلت رواية الحمار الذهبي لأفولاي نصا مفتوحا على مستوى اللغة والأمكنة والأزمنة على ثقافات الأمازيغ واللاتين والإغريق وغيرهم، وبذلك شكلت عملا مؤسسا استفاد منها الجميع، بشكل يظهر الثراء والتلاقح.

قائمة البيبليوغرافيا

المراجع العربية

- أبوبكر، أميمة. (1994). المسخ في حكايات ألف ليلة وليلة. *مجلة فصول، 4* (13)، 239-250.
- لوكيوس، أبوليوس. (2004). *الحمار الذهبي* (ترجمة دودو أبو العيد) (ط.3). بيروت: الدار العربية للعلوم ناشرون.
- أقوضاض، محمد. (2008). *شعرية السرد الأمازيغي*. الرباط: مطبعة المعارف الجديدة.
- بلوصيف، كمال. (2016). أسطورة التحول في الثقافات القديمة وأثرها في الثقافة الشعبية الجزائرية. *مجلة العلوم الاجتماعية، 13* (2)، 283-295.
- بن ميس، عبد السلام. (2010). *مظاهر الفكر العقلاني في الثقافة الأمازيغية القديمة: دراسة في تاريخ العلوم الصورية وتطبيقاتها*. الرباط: منشورات IDGL.
- حنداين، محمد. (1991). *مدخل لكتابة تاريخ الأدب الأمازيغي بالمغرب*. منشورات الجمعية المغربي للبحث والتبادل الأمازيغي.

- حنفاوي، بعلي. (2018). *الترجمة وجماليات التلقي: المبادلات الفكرية الثقافية*. دار البازوري العلمية للنشر والتوزيع.
- حمداوي، جميل. (2009). *المسرح الأمازيغي*. الدار البيضاء: مطبعة النجاح الجديدة.
- خشيم، علي. (2000). *لوكيوس أبوليوس: تحولات الجحش الذهبي* (ترجمة علي فهمي خشيم) (ط4.). طرابلس: المنشأة العامة.
- شفيق، محمد. (1989). *لمحة عن ثلاثة وثلاثين قرنا من تاريخ الأمازيغيين*. الرباط: دار الكلام.
- الصافي، مومن علي. (2010). المفهوم الحقيقي للحضارة المغربية. أكادير: مطابع سوس.
- الميلودي، سعيد. (2018). *مداخل إلى الأدب الأمازيغي بالأطلس المتوسط*. خنيفرة: منشورات جمعية إيزوران للثقافة.
- هالي، نور الدين. (2016). الاتجاه الأفلاطوني في رواية الحمار الذهبي لأبوليوس المداوروشي. *مجلة دراسات*، *8*(4)، 151-164.

المراجع الأجنبية

- Annequin, J. (1996). Rêve, roman, initiation dans les Métamorphoses d'Apulée. *Dialogues d'histoire ancienne*, *22*(1), 133-201.
- Boidin, C. (2012). La «voie du retour»? Le modèle de l'Âne d'or dans le parcours du mythe de l'Algérie latine chez Louis Bertrand. *Recherches & Travaux*, (81), 17-40.
- Cèbe, J. P. (1989). Apulée. In G. Camps (Ed.). *Antilopes – Arzuges*. Aix-en-Provence: Edisud. https://journals.openedition.org/encyclopedieberbere/2565
- Fick-Michel, N. (1991). *Art et mystique dans les Métamorphoses d'Apulée*. Paris: Les Belles Lettres.
- Garbugino, G. (2009). La perception des passions dans le roman d'Apulée. In *Passions, vertus et vices dans l'ancien roman: Actes du colloque de Tours, 19-21 octobre 2006* (pp. 209-221). Lyon: Maison de l'Orient et de la Méditerranée Jean Pouilloux. https://www.persee.fr/doc/mom_0151-7015_2009_act_42_1_2625
- Harrison, S. J. (2013). *Framing the Ass: Literary Texture in Apuleius' Metamorphoses*. Oxford: Oxford University Press.
- Heller, S. (1983). Apuleius, Platonic dualism, and eleven. *The American Journal of Philology, 104*(4), 321-339.
- Hicter, M. (1944). L'autobiographie dans l'Ane d'Or d'Apulée. *L'antiquité classique*, *13*(1), 95-111. https://doi.org/10.3406/antiq.1944.2721
- Martin, R. (1993). D'Apulée à Umberto Eco ou les métamorphoses d'un âne. *Bulletin de l'Association Guillaume Budé*, *1*(2), 165-182.
- Montiglio, S. (2007). You Can't Go Home Again: Lucius' journey in Apuleius' Metamorphoses set against the background of the Odyssey. *Materiali e discussioni per l'analisi dei testi classici,* (58), 93-113.
- Notsu, H. (2015). L'Odyssée et les Métamorphoses d'Apulée. *Shinshu Studies in Humanities*, *2*(2), 177-187.

- Casanova-Robin, H. (2003). De Métamorphoses en Métamorphoses. Un exemple d'intertextualité dans les Métamorphoses d'Apulée, l'évocation d'Actéon. *Vita Latina, 169*(1), 83-91.
- Schlam, C. (1968). *The Structure of the Metamorphoses of Apuleius*. [Doctoral dissertation, Columbia University].
- Thomas, J. (1986). *Le dépassement du quotidien dans l'Énéide, les métamorphoses d'Apulée et le Satiricon: essai sur trois univers imaginaires*. Paris: Les Belles Lettres.
- Heilmann, U. (2011). Tisserandes fatales (Apulée) et Fées de Cour (Perrault): Le sort difficile d'une Belle «née pour être couronnée». *Études de lettres*, (3-4), 205-220. https://journals.openedition.org/edl/202